الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة–
كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
قسم العلوم الاجتماعية

المكتبة المركزية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

محاضرات في مقياس الفكر الشرقي القديم

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس فلسفة

تخصص: فلسفة عامة

من إعداد الأستاذ: بكيري محمد أمين

المكتبة المركزية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

السنة الجامعية 2026/2025

فهرس المحتويات

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المكتبة المركزية
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

الرقم	الموضوع	الصفحة
.1	بطاقة تقنية للمقياس	02
.2	المقدمة	06
.3	الصراع حول "المركزية" وأصل الفكر الشرقي القديم	10
.4	مكانة الأسطورة في الفكر الشرقي القديم	15
.5	المحاضرة الثانية: الفكر الشرقي القديم بين الدحض والتأييد	19
.6	أسئلة للمناقشة مع إجابات نموذجية مختصرة تساعد في التحضير للامتحانات	26
.7	المحور الثاني: الفكر الصيني القديم.	28
.8	أولا: الكنفشيوسية	30
.9	الفكر السياسي عند كونفوشيوس	33
.10	أثر الكنفوشيوسية في الحضارة الصينية	34
.11	أسئلة للمناقشة	38
.12	المحور الثالث: الفكر الهندي القديم – البوذية –	40

.13		
.14		
.15		
.16		
.17		
.18		

بطاقة تقنية للمقياس

الجامعة	**الجيلالي بونعامة بخميس مليانـة.**
الكلية	كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
القسم	العلوم الاجتماعية
المستوى	السنة الثانية ليسانس
التخصص	فلسفة عامة
المقياس المقرر	محاضرات في الفكر الشرقي القديم
الأستاذة	بكيري محمد أمين
وحدة التعليم	أساسية
نوع الدرس	محاضرات
السداسي	الاول
المعامل	02
الرصيد	05
الحجم الساعي	15 أسبوع في السداسي حوالي 45 ساعة المحاضرة 1سا 30

- **أهداف التعليم:**

ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر.

التعرف عل الفكر الشرقي

- **المعارف المسبقة المطلوبة:**

وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر

ثقافة عامة

- **محتوى المادة:**
- الإرهاصات الفلسفية ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي (الإنسان، الطبيعة، الخلود، الألوهية، القانون، العدل، المجتمع، .....
- الفكر الصيني (الكنفوشية ...)
- الفكر الهندي (البوذية .....)
- فكر حضارات ما بين النهرين الفكر الفارسي (المانوية، الزرادشتية ....) الفكر البابلي، الفكر السومري..
- الفكر المصري (نظريات العدالة وفلسفة الماعت –أي الحق والاستقامة–.....)
- الفكر الشرقي وفعل التدوين (دراسة أسباب غياب الأثر).
- **المراجع** :كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ..
- **طريقة التقييم:** مراقبة مستمرة والامتحان .

الخريطة الذهنية للمقياس

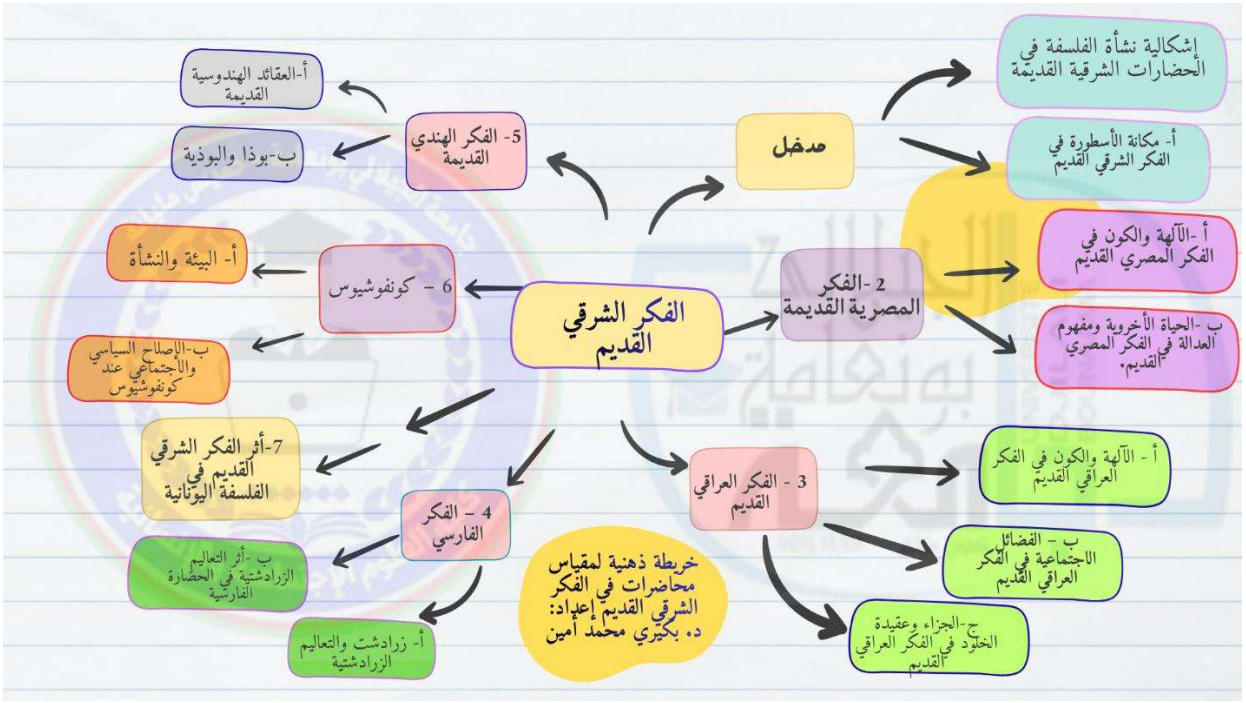

المقدمة:

هذا السند البيداغوجي موجه لطلبة السنة الثانية فلسفة (شعبة الفلسفة)، ويتعلق بمقياس "الفكر الشرقي القديم". وقد تم تقسيمه إلى ستة محاور رئيسية، تمثل مختلف الحضارات الشرقية القديمة التي ظهرت في فترة ما قبل الميلاد.

يتناول المحور الأول الإرهاصات الفلسفية الأولى وبدايات التفكير العقلي في الشرق القديم، حيث يتم التطرق إلى العوامل التي ساهمت في ظهور الفلسفة، إضافة إلى عرض طبيعة الفكر الشرقي وخصائصه، وأهم المشكلات الفلسفية التي عالجها.

أما المحور الثاني فيتناول الفكر الصيني، باعتباره مدخلاً أساسياً لفهم الفكر الشرقي القديم. فقد تميز هذا الفكر بطابعه العملي والواقعي. كما تم التركيز على "الكونفوشيوسية" باعتبارها مذهباً يجمع بين الديني والفلسفي والعلمي، حيث يقوم الجانب النظري فيه على خدمة الجانب العملي.

ويختص المحور الثالث بالفكر الهندي القديم في سياقه التاريخي والحضاري، حيث يتم عرض نشأته وتطوره عبر مرحلتين أساسيتين: المرحلة الفيدية والمرحلة الملحمية. كما يتم التعريف بخصائص الفلسفة الهندية، مع التطرق إلى "البوذية" باعتبارها نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً قائماً على تأملات فلسفية، لا على الوحي. وهي أقرب إلى فلسفة حياة تدعو إلى الزهد والتجرد من الشهوات للتخلص من الألم، وتؤمن بمبدأ التناسخ والسببية، وتنكر البعث والحساب، وتركز على مفهوم "الدارما" بمعنى الحقيقة.

أما المحور الرابع فيتناول فكر حضارات ما بين النهرين، الذي يشكل جزءاً مهماً من الفكر الشرقي القديم. ويعتمد هذا الفكر على ثلاثة محاور أساسية: المحور الأسطوري

(الميثولوجي)، والمحور الديني (الثيولوجي)، والمحور الفلسفي (الإنساني). وقد تم عرض نماذج من هذا الفكر مثل الفكر السومري والبابلي والفارسي.

ويعالج المحور الخامس الفكر المصري القديم، خاصة فيما يتعلق بنظريات العدالة وفلسفة "الماعت" التي تعني الحق والاستقامة. كما يبرز إسهام المصريين القدماء في مجالات الوجود والقيم، وتركيزهم على الجانب العملي للحياة، بالإضافة إلى مساهماتهم العلمية التي تظهر في آثارهم الحضارية. ومع ذلك، يبقى هذا الفكر مرحلة أولية ضمن تطور الفكر الإنساني.

أما المحور السادس والأخير، فيتناول علاقة الفكر الشرقي القديم بفعل التدوين، من خلال دراسة أسباب قلة الآثار المكتوبة. حيث كان الإنسان الشرقي يميل إلى ربط الفكر بالعمل، فلا يفكر إلا من أجل التطبيق، وتتطور أفكاره من خلال الممارسة والخبرة اليومية.

وقد تم في هذا السند التركيز على الجوانب المعرفية الأساسية، بما يتناسب مع طبيعة مقياس الفكر الشرقي القديم. كما تم اعتماد أسلوب مبسط يراعي سهولة الفهم لدى الطلبة، مع الاستناد إلى مراجع وموسوعات متخصصة.

وفي الختام، يبقى هذا السند عملاً أولياً قابلاً للتطوير والمراجعة المستمرة، حسب متطلبات التدريس وتطور مستوى الطلبة. وهو مجرد دليل يساعد الطالب على تنظيم معارفه وتبسيطها، دون أن يغني عن دور الأستاذ الذي يظل أساسياً في توجيه الطلبة وتكييف المادة التعليمية وفق حاجاتهم الفكرية.

ورغم الجهد المبذول، فإن هذا العمل لا يخلو من نقائص أو غموض في بعض الجوانب، وهو أمر طبيعي في أي عمل بيداغوجي، مما يستدعي المراجعة والتحسين المستمر.

أهداف التعلّم: الفكر الشرقي القديم

يهدف هذا المقياس إلى تمكين الطلبة من:

1. التعرف على نشأة الفكر الفلسفي في الحضارات الشرقية القديمة وفهم ظروف ظهوره والعوامل التي ساهمت في تطوره.
2. فهم طبيعة الفكر الشرقي وخصائصه العامة، خاصة ارتباطه بالواقع العملي والديني والأسطوري.
3. التمييز بين أهم المدارس والمذاهب الفكرية في الحضارات الشرقية، مثل الفكر الصيني والهندي والمصري وبلاد ما بين النهرين.
4. تحليل أهم القضايا الفلسفية التي عالجها الفكر الشرقي القديم، مثل الوجود، المعرفة، القيم، والأخلاق.
5. التعرف على أبرز الفلاسفة والمذاهب، مثل الكونفوشيوسية والبوذية، وفهم مبادئها الأساسية وتأثيرها.
6. إدراك العلاقة بين الفكر والعمل في الحضارات الشرقية، وكيف ساهمت التجربة اليومية في بناء المعرفة.
7. تنمية القدرة على المقارنة بين الفكر الشرقي القديم والفكر الفلسفي في حضارات أخرى.
8. اكتساب مهارات التحليل الفلسفي للنصوص والأفكار القديمة بطريقة مبسطة ومنهجية.
9. فهم دور الأسطورة والدين في تشكيل الفكر الفلسفي في الشرق القديم.
10. إدراك أهمية هذا الفكر كمرحلة أساسية في تطور الفكر الإنساني عبر التاريخ.

طريقة تقييم التعلّم

يتم تقييم تعلّم الطلبة في مقياس "الفكر الشرقي القديم" من خلال مجموعة من الأساليب التي تهدف إلى قياس مدى فهمهم واستيعابهم للمحتوى، وتنمية مهاراتهم الفكرية، وذلك كما يلي:

1. **الاختبارات الكتابية:** تشمل اختبارات دورية وامتحانًا نهائيًا، وتهدف إلى قياس مستوى الفهم والتحليل والاستيعاب لدى الطلبة.

2. **الأعمال الموجهة (TD):** تتضمن مناقشة نصوص فلسفية، والإجابة عن أسئلة تحليلية، مما يساعد على تنمية مهارات التفكير النقدي.

3. **البحوث والعروض (العروض الشفوية):** يكلف الطلبة بإعداد بحوث أو تقديم عروض حول موضوعات محددة، بهدف تنمية مهارات البحث والتعبير.

4. **تحليل النصوص الفلسفية:** يُطلب من الطلبة تحليل نصوص من الفكر الشرقي القديم، لاختبار قدرتهم على الفهم والتفسير.

تعتمد عملية التقييم على مبدأ التدرج والتنوع، بحيث تجمع بين الجانب المعرفي (الفهم) والمهاري (التحليل والتعبير)، بهدف تحقيق تعلّم متكامل.

الصراع حول "المركزية" وأصل الفكر الشرقي القديم

تمهيد:

تعد قضية نشأة الفلسفة من أكثر المواضيع جدلاً في تاريخ الفكر الإنساني؛ حيث جرت عادة طائفة كبيرة من المؤرخين على تأريخ بداية الفلسفة ببلاد اليونان حصراً. هؤلاء يرفضون الاعتراف بأي تأثير حقيقي للحكمة الشرقية القديمة، واصفين إياها بأنها مجرد أفكار أسطورية "ساذجة" لم تبلغ مستوى التجريد العقلي اليوناني.

ويُعزى هذا الموقف المتصلب إلى نزعة "**المركزية الغربية**" التي تحاول التقليل من شأن إسهامات الحضارات الشرقية في بناء الإرث البشري، رغبةً في جعل اليونان هي المنبع الأوحد والمنظم للفكر الممنهج.

أولاً: الجذور الزمانية والاشتقاق اللغوي

يرى معظم المؤرخين والباحثين في تاريخ الفلسفة أن الفلسفة، بوصفها علماً منظماً قائماً على التفكير العقلي والمنهجي، قد ظهرت لأول مرة في بلاد اليونان مع بداية القرن السادس قبل الميلاد. وقد مثّل هذا الظهور تحولاً مهماً في طريقة فهم الإنسان للعالم، حيث انتقل التفكير من التفسيرات الأسطورية والدينية إلى البحث العقلي القائم على التساؤل والنقد.

ويُعد طاليس الملطي (حوالي 624 ق.م) المؤسس الرمزي لهذه البداية، إذ عاش في مدينة ملطية الواقعة على ساحل أيونيا، وهي منطقة عُرفت بازدهارها التجاري والثقافي، مما ساهم في انفتاحها على حضارات متعددة. وقد تميز طاليس بمحاولته تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً عقلياً بعيداً عن الأساطير، حيث بحث عن أصل الكون ومبدئه الأول، معتبراً أن الماء هو العنصر الأساسي الذي تتكون منه جميع الأشياء.

أما من حيث الدلالة اللغوية، فإن كلمة "فلسفة (Philosophia) "ترجع إلى أصل يوناني، وتتكون من مقطعين أساسيين:

- "فيلوس :(Philos) "وتعني الصديق أو المحب.
- "سوفيا :(Sophia) "وتعني الحكمة.

وبذلك فإن الفيلسوف هو "محب الحكمة" أو "الساعي إليها"، وليس بالضرورة من يمتلكها بشكل كامل. وهذا التعريف يعكس طبيعة الفلسفة نفسها، فهي ليست مجموعة من الحقائق الجاهزة، بل هي بحث دائم ومتواصل عن المعرفة والحقيقة من خلال التساؤل والتفكير النقدي.

ثانياً: التحول الجوهري (من الميثوس إلى اللوغوس)

قبل بزوغ فجر الفلسفة، كان التفكير اليوناني يتسم بالسمة الأسطورية التي تعتمد على سرد الخيال، وهو ما يُعرف بـ "**خطاب الميثوس**". كان هذا النوع من الفكر بعيداً عن البراهين العقلانية المنطقية.

ومع مرور الزمن، حدث انفصال تاريخي بين فكر "الميثوس" (الأسطوري) وفكر "**اللوغوس**" (العقلي البرهاني). ولم يكن هذا التحول محض صدفة، بل ساعدت عليه عوامل مادية وحضارية هامة:

- ظهور علم الرياضيات وتطور الجوانب التجارية والملاحية للدولة اليونانية.
- استبدال نظام المقايضة بظهور **العملة**، مما عزز القدرة على التفكير التجريدي.
- الإصلاحات السياسية والتنظيمية التي أدت لظهور "**الدولة المدينة**".

ثالثاً: بيئة "المدينة" وأثرها في الفكر

لعب ظهور المدينة اليونانية دوراً حاسماً في نشأة الفلسفة؛ ففيها ولأول مرة أصبح التعامل مع القضايا العامة يخضع للسجال العلني والنقاش المدعم بالحجج.

- أصبح لكل مواطن الحق في التعبير عن رأيه في قضايا الشأن العام ضمن نظام ديمقراطي.
- مهدت هذه الأجواء التفاعلية الطريق لنشأة الفلسفة في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

رابعاً: آراء المؤرخين وتصنيف المعرفة

انقسم الباحثون في تحديد هوية الفلسفة ومكان نشأتها إلى تيارين رئيسيين:

1. التيار اليوناني (أرسطو ومدرسته)

بدأ هذا الاتجاه مع **أرسطو** في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أرجع الفلسفة إلى اليونان حصراً وجعل طاليس رائدها الأول. استمر هذا الرأي مسيطراً حتى نهاية القرن التاسع عشر، مؤكداً أن الفلسفة نبتت من تربة يونانية خالصة دون تأثر بعناصر شرقية.

- أيد هذا الرأي فلاسفة ومؤرخون كبار مثل **فريدريك نيتشه** (الفيلسوف الألماني صاحب المؤلفات الشهيرة كـ "العلم المرح" و"نشأة التراجيديا")، وبرتراند راسل، وعبد الرحمن بدوي.

التمييز بين الحكمة الشرقية والفلسفة اليونانية

رغم إقرار عدد كبير من المؤرخين بوجود حضارات شرقية عريقة سبقت اليونان، مثل حضارات وادي الرافدين، ووادي النيل، وفارس، والهند، وما قدمته من إنتاج فكري وديني مهم، إلا أنهم يرون أن هناك فرقاً نوعياً في طبيعة التفكير بين هذه الحضارات والفكر اليوناني.

فمن جهة، يتميز التفكير اليوناني بطابعه العقلي التأملي، حيث كان هدفه الأساسي هو البحث عن الحقيقة لذاتها، دون ارتباط مباشر بالمنافع العملية أو الاعتبارات الدينية. فقد سعى الفلاسفة اليونانيون إلى فهم الكون وقوانينه من خلال العقل، وطرحوا أسئلة مجردة حول الوجود والمعرفة والإنسان، مما أدى إلى نشوء الفلسفة كبحث نظري مستقل.

أما من جهة أخرى، فيرى هؤلاء المؤرخون أن التفكير في الحضارات الشرقية كان ذا طابع عملي أو ديني في الغالب، حيث ارتبطت المعرفة بحاجات الإنسان اليومية أو بعقائده الدينية. فالمعرفة في هذا السياق لم تكن غاية في ذاتها، بل وسيلة لتحقيق أهداف معينة، مثل تنظيم الحياة الاجتماعية، أو تفسير الظواهر الطبيعية في إطار ديني، أو الوصول إلى نوع من الخلاص الروحي.

وبناءً على هذا التمييز، يذهب بعض المفكرين إلى اعتبار أن الفلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة نشأت في اليونان، لأنها تمثل انتقالاً من التفكير الأسطوري والعملي إلى التفكير العقلي النظري الحر.

مكانة الأسطورة في الفكر الشرقي القديم

تمهيد

تُعد الأسطورة من أهم الظواهر الفكرية والثقافية التي ميزت حضارات الشرق القديم، فقد شكلت الإطار المعرفي الأول الذي حاول الإنسان من خلاله تفسير الكون، الطبيعة والوجود. وقبل ظهور التفكير الفلسفي والعلمي، كانت الأسطورة الوسيلة الأساسية لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية والميتافيزيقية، حيث امتزج فيها الواقع بالخيال، والدين بالمعتقدات الشعبية، والتجربة الإنسانية بالتصورات الرمزية للكون (إمام، 1999، ص 21).

لقد نشأت الأساطير في مختلف الحضارات الشرقية القديمة، كالحضارة المصرية، والرافدية، والهندية، والصينية، وشكلت جزءاً أساسياً من البناء الفكري والديني لهذه المجتمعات. ولم تكن الأسطورة مجرد حكايات خيالية أو قصص للتسلية، بل كانت تمثل رؤية شاملة للعالم وتقدم إجابات عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بأصل الكون والإنسان والموت والخلود والآلهة (كرم، 2004، ص 37).

أولاً: مفهوم الأسطورة

الأسطورة هي قصة رمزية مقدسة تتناول أحداثاً وقوى فوق طبيعية، وتُروى بهدف تفسير ظواهر الكون والطبيعة أو تبرير العادات والمؤسسات الاجتماعية والدينية. وتتميز الأسطورة بأنها تجمع بين العناصر الخيالية والرمزية، وتعكس التصورات الجماعية للمجتمع الذي نشأت فيه (بدوي، 1984، ص 56).

إن الأسطورة تمثل «تاريخاً مقدساً» يروي أحداثاً وقعت في الزمن الأول، أي الزمن الذي تشكل فيه العالم وظهرت فيه الموجودات والأنظمة الاجتماعية والدينية (إلياد، 1986، ص 18).

ثانياً: الأسطورة بوصفها أساساً للفكر الشرقي القديم

مثّلت الأسطورة المرحلة الأولى في تطور الفكر الإنساني في الشرق القديم، إذ كانت الأداة المعرفية التي اعتمدها الإنسان لفهم العالم المحيط به. فقد عجز الإنسان القديم عن تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً عقلياً أو علمياً، فلجأ إلى إرجاعها إلى قوى غيبية وآلهة خارقة للطبيعة.

ففي حضارات الشرق القديم كانت الشمس والقمر والرياح والفيضانات والأمطار تُفسر على أنها مظاهر لإرادة الآلهة أو نتيجة لصراع القوى الإلهية. ومن هنا أصبحت الأسطورة أساساً للتصورات الدينية والطقوس والشعائر التي مارستها تلك المجتمعات (إمام عبد الفتاح، 1999، ص 24).

كما أدت الأسطورة وظيفة معرفية مهمة، إذ قدمت تفسيراً لأصل الكون والإنسان والحياة والموت، وساعدت الإنسان على مواجهة مخاوفه الوجودية والشعور بالأمن في عالم مليء بالغموض والمخاطر (بدوي، 1984، ص 61).

ثالثاً: الأسطورة في حضارات الشرق القديم

1. الأسطورة في حضارة وادي الرافدين

تُعد حضارة بلاد الرافدين من أغنى الحضارات القديمة بالأساطير. ومن أشهر أساطيرها أسطورة الخلق البابلية «إينوما إيليش» التي تروي نشأة الكون من صراع بين الآلهة، وملحمة جلجامش التي تناولت قضية الموت والخلود والبحث عن معنى الحياة.

وقد ساهمت هذه الأساطير في بناء التصور الديني والأخلاقي لسكان بلاد الرافدين، كما عكست رؤيتهم للعلاقة بين الإنسان والقوى الإلهية والطبيعة (علي، 2010، ص 93).

2.الأسطورة في الحضارة المصرية القديمة

احتلت الأسطورة مكانة مركزية في الفكر المصري القديم، حيث ارتبطت بالمعتقدات الدينية الخاصة بالخلق والبعث والحياة الأخرى. ومن أشهر الأساطير المصرية أسطورة أوزوريس وإيزيس وحورس، التي جسدت الصراع بين الخير والشر وانتصار النظام على الفوضى.

كما لعبت الأساطير دوراً مهماً في ترسيخ العقائد المرتبطة بالخلود والحساب بعد الموت، وهي عقائد انعكست بوضوح في النصوص الجنائزية والمعابد المصرية القديمة (السواح، 2002، ص 117).

3.الأسطورة في الفكر الهندي القديم

امتزجت الأسطورة في الهند القديمة بالدين والفلسفة، وظهرت في النصوص المقدسة مثل الفيدا والأوبانيشاد والملاحم الكبرى كالمهابهاراتا والرامايانا. وقد تناولت هذه الأساطير موضوعات الخلق والتناسخ والكارما والعلاقة بين الإنسان والمطلق.

وتكمن أهميتها في كونها لم تقتصر على التفسير الديني، بل أصبحت أساساً للتأملات الفلسفية التي مهدت لظهور المدارس الفكرية الهندية اللاحقة (فخري، 1986، ص 74).

4.الأسطورة في الفكر الصيني القديم

رغم الطابع الأخلاقي والعملي الذي طبع الفكر الصيني، فإن الأساطير شكلت جزءاً مهماً من الثقافة الصينية القديمة. فقد تناولت أساطيرها نشأة الكون وأصل الإنسان وأبطال الحضارة الأوائل، مثل أسطورة بان كو (Pangu) التي تفسر خلق الكون، وأسطورة نوا (Nuwa)التي تتحدث عن خلق البشر.

غير أن الفكر الصيني، خاصة مع ظهور الكنفوشيوسية والطاوية، اتجه تدريجياً نحو الاهتمام بالأخلاق والتنظيم الاجتماعي أكثر من الاهتمام بالسرد الأسطوري، الأمر الذي جعل تأثير الأسطورة أقل وضوحاً مقارنة بحضارات الشرق الأخرى (إمام، 1999، ص 119).

رابعاً: وظائف الأسطورة في الفكر الشرقي القديم: أدت الأسطورة عدة وظائف أساسية في حضارات الشرق القديم، من أهمها:

1. **الوظيفة التفسيرية** :تفسير أصل الكون والطبيعة والإنسان والظواهر الكونية.
2. **الوظيفة الدينية** :ترسيخ العقائد والشعائر والطقوس المرتبطة بالآلهة.
3. **الوظيفة الاجتماعية** :تدعيم القيم والعادات والتقاليد السائدة داخل المجتمع.
4. **الوظيفة السياسية** :إضفاء الشرعية على السلطة والحكم من خلال ربطها بالإرادة الإلهية.
5. **الوظيفة النفسية** :تخفيف القلق الوجودي لدى الإنسان وتقديم إجابات عن أسئلة الحياة والموت والخلود (إلياد، 1986، ص 35).

خاتمة

يتضح أن الأسطورة احتلت مكانة محورية في الفكر الشرقي القديم، إذ شكلت الإطار الفكري الأول الذي فسر الإنسان من خلاله العالم والوجود. وقد أسهمت في بناء المعتقدات الدينية والأنظمة الاجتماعية والسياسية، كما مهدت الطريق لظهور التأملات الفلسفية الأولى. ورغم تجاوز الفكر الإنساني لاحقاً للتفسير الأسطوري نحو التفسير العقلي والعلمي، فإن الأسطورة ظلت تمثل مرحلة أساسية في تاريخ الفكر الإنساني، ومصدراً مهماً لفهم ثقافات وحضارات الشرق القديم.

المحاضرة الثانية: الفكر الشرقي القديم بين الدحض والتأييد

يجمع الباحثون في تاريخ الفكر الإنساني على أن كل منجز إبداعي أو فني تركه البشر يمثل حلقة في سلسلة متصلة، تخدم ما سبقها وتمهد لما سيلحقها. فالإنسان، بما وهبه الله من ملكة العقل والقدرة على الإدراك، لا يتوقف عن ممارسة "الملاحظة العاقلة" لظواهر الكون وتصوراته. هذا الإدراك هو ما دفع الإنسان الأول للبحث في أصل النشأة، والعلة، والعلاقة.

إننا حين نتحدث عن "الإنسان" هنا، فإننا نقصد الكائن الذي يمارس فعل التفكير بوصفه كائناً فاعلاً؛ يؤثر ويتأثر بالبيئة التي يحتضنه، يدرس متغيراتها الطبيعية وظواهرها الملموسة، ثم يتجاوزها إلى التفكير فيما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا). وهنا يبرز مفهوم "**التفلسف**"؛ وهو البحث في ماهية الأشياء وأصولها وعلاقتها بالإنسان. هذا الفعل ليس حكراً على أمة دون أخرى، بل هو ممارسة لكل إنسان راجح العقل يدرك أن لحياته وأفعاله أبعاداً أخلاقية، واجتماعية، وإنسانية عميقة.

أولاً: إشكالية النشأة.. صراع المناهج

لا يمكننا فهم نشأة الفلسفة القديمة بمعزل عن المنجزات الإنسانية الكبرى، سواء كانت عقائدية، حضارية، علمية، أو فنية. فالفلسفة مرتبطة بنيوياً بالحضارة؛ هي قوتها الدافعة ومرآة خصائصها. لذا، كانت قضية "البداية" محل جدل تاريخي وتأصيلي واسع، انقسم فيه الفلاسفة والمؤرخون إلى فريقين أساسيين:

1. **الفريق الأول (أنصار المعجزة اليونانية):** يرى أن الفلسفة ولدت كطفرة عقلية في اليونان، حيث ظهر العقل المنظم والقوانين النظرية لأول مرة.
2. **الفريق الثاني (أنصار الجذور الشرقية):** يؤكد أولوية الحضارات الشرقية القديمة (مصر، بابل، الهند، وفارس) في وضع اللبنات الأولى للفكر الفلسفي.

ثانياً: تيار المنكرين (أطروحة الاستثناء اليوناني)

يستند هذا التيار إلى عدة ركائز فلسفية وتاريخية لإقصاء الشرق من دائرة "التفلسف":

1. أرسطو.. التأسيس للعرقية الفكرية

يُعتبر أرسطو صاحب أقدم رأي منهجي حول أصل الفلسفة. ففي مؤلفاته (مثل "السياسة")، لم يكتفِ بتأريخ الفلسفة بل ربطها بخصائص عرقية، حيث رفع من قدر العرق اليوناني واصفاً إياه بالذكاء والشجاعة الفطرية. ويرى أرسطو أن اليونانيين هم أول من انتقل من التفسير الأسطوري إلى مناقشة "مبادئ الوجود" والعلل المادية للعالم بشكل عقلاني مجرد.

2. هيغل.. الفلسفة كوعي بالحرية

سار الفيلسوف الألماني هيغل على نهج أرسطو في كتابه "العقل في التاريخ". ورغم اعترافه بأن التاريخ الروحي قد يمتد لما قبل اليونان، إلا أنه جزم بأن **التأريخ الحقيقي للفلسفة** يبدأ من اللحظة اليونانية فقط.

- **حجة هيغل:** ربط الفلسفة بظهور "العقلانية" والوعي بالحرية. فالتاريخ عنده هو مسار كفاح الروح لتصل إلى وعي ذاتها، وهو ما لم يتحقق إلا في التربة اليونانية التي فصلت بين الذات والموضوع.

3. سانت هيلار.. إنكار التأثير الشرقي

تبنى المفكر الفرنسي سانت هيلار (1805–1895) موقفاً راديكالياً، معتمداً على دقة الكشوفات الأثرية في عصره. زعم هيلار أن "الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا قط". ورغم اعترافه بأن بوادر الفكر ظهرت في آسيا الصغرى (ملطية)، إلا أنه اعتبرها "مصباحاً" لم يشتعل حقاً ولم يؤتِ أكله إلا حين نُقل إلى **أثينا**.

يقول هيلار: "اليونان أعطت العالم كله ولم يعطها العالم شيئاً، إلا بذوراً كانت عقيمة في غيرها، فعرفت هي وحدها كيف تنبتها".

4. إدوارد زيلر.. استقلال الفكر عن الدين

يضع زيلر معياراً صارماً لتعريف الفلسفة، وهو "**الاستقلال التام عن الدين**". وبناءً عليه، يرى أننا لا نجد لدى الأمم السابقة لليونان فلسفة بمعناها الصحيح.

- **نقد الفكر الشرقي:** يصف زيلر الفكر الصيني والهندي بأنه "تصوف" أو "حكم ومواعظ دينية" تفتقر إلى اللغة الفلسفية التجريدية.
- **المزيّة اليونانية:** يرى أن اليونان استبدلوا الخرافات بنظام عقلي يستند إلى الفكر الحر، محولين التصورات الغامضة إلى حقيقة طبيعية منطقية.

5. ألكسندر.. الفلسفة كبحث منظم

يرى ألكسندر أنه إذا عرفنا الفلسفة بأنها "البحث المنظم عن ماهية الأشياء"، فإن موطنها الأصلي هو الإغريق لا غير. ورغم إقراره بأن الشعب الهندي كان قريباً من روح التفلسف، إلا أنه يؤكد غياب أي دليل يثبت استمداد اليونان لفلسفتهم من الهنود.

إن التيار الذي ينفي مطلقاً تأثير الفكر الشرقي ينطلق في جوهره من بنية فكرية تؤمن بـ "**التفوق العرقي والمركزية الأوروبية**". فهم يرون الفلسفة "خلاصاً أوروبياً" خالصاً. ولكن، في المقابل، تبرز دراسات حديثة ومكتشفات أثرية (سنعرضها في القسم التالي) تعيد الاعتبار للفكر الشرقي، وتكشف كيف عالجت حضارات مصر وبابل قضايا الألوهية، الخلق، المجتمع، وطبيعة الكون قبل اليونان بقرون طويلة.

المؤيدون لأسبقية الفكر الشرقي في نشأة الفلسفة

يذهب عدد من المؤرخين والباحثين في تاريخ الفكر إلى الدفاع عن أطروحة مفادها أن الفلسفة لم تنشأ حصراً في اليونان، بل إن جذورها الأولى تعود إلى الحضارات الشرقية القديمة التي سبقتها زمنياً وأسهمت في تهيئة المناخ الفكري لظهورها. ومن أبرز من عبّر عن هذا الاتجاه المؤرخ اليوناني **ديوجين** اللائرتي(Diogenes Laërtius) ، الذي تناول في كتاباته أصل الفلسفة وتاريخها، مشيراً إلى وجود آراء قوية تؤكد أن التفلسف لم يكن حكراً على اليونانيين.

فقد ذكر ديوجين أن شعوباً غير يونانية، وصفها بـ"البرابرة" وفق المصطلح اليوناني القديم، كانت قد سبقت الإغريق في ممارسة التأمل الفلسفي، مثل الفرس والبابليين والآشوريين والهنود. غير أن موقفه لا يبدو حاسماً بشكل كامل، إذ نجده في مواضع أخرى يميل إلى تأييد الرؤية الأرسطية التي تربط نشأة الفلسفة باليونان. ومع ذلك، فإن عرضه لهذه الفكرة يظل مهماً، لأنه يفتح المجال للنقاش ويمنح مشروعية لأطروحة القائلين بأسبقية الفكر الشرقي.

وفي السياق نفسه، يأتي موقف المؤرخ وعالم تاريخ العلوم جورج سارتون (George Sarton)، الذي يتبنى رؤية نقدية واضحة تجاه النزعة الأوروبية المركزية، وخاصة الادعاء بتفوق الفكر اليوناني المطلق. ففي مقدمة كتابه "تاريخ العلم"، يؤكد سارتون أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال القول إن العلم – وبالتالي الفكر العقلاني – بدأ مع اليونان فقط، بل إن هذا التصور يعكس تبسيطاً مخلّاً وتجاهلاً غير مبرر لإسهامات الحضارات الشرقية.

ويشدد سارتون على أن ما يُعرف بـ"المعجزة اليونانية" لم يكن حدثاً معزولاً، بل سبقه تراكم طويل من الجهود العلمية والفكرية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق. ويرى أن العلم اليوناني كان في جانب كبير منه استمراراً وإحياءً لما سبق، أكثر من كونه ابتكاراً من العدم. كما ينتقد إهمال بعض المؤرخين للإطار الأسطوري والديني الذي نشأ فيه

العلم، سواء في الشرق أو في اليونان نفسها، معتبراً أن هذا الإطار كان جزءاً أساسياً من تطور الفكر الإنساني.

يُعد المؤرخ الأمريكي الشهير **ويل ديورانت**، Will Durant في العصر الحديث صاحب موسوعة "قصة الحضارة"، من أقوى المدافعين عن هذا التوجه، **حيث** يرى أن المؤرخين الغربيين سيتملكهم الذهول حين يدركون حجم المديونية التي يدين بها العقل الأوروبي (في علومه، وآدابه، وفلسفته) لمصر وبلاد الشرق، يؤكد ديورانت أن اليونانيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى حكماء مصر بإجلال، بل وكانوا يعتبرون أنفسهم "أطفالاً" مقارنة بحكمة هذا الشعب القديم .فيتفق مع سارتون في التأكيد على الدور الريادي للحضارات الشرقية، حيث يرى أن الفكر الإنساني هو نتاج تراكمي ساهمت فيه مختلف الشعوب، وأن الفلسفة اليونانية مدينة في كثير من جوانبها للمعارف الشرقية السابقة.

هنا بدأ الوهم حول "المعجزة اليونانية" يتضاءل تدريجياً مع بزوغ عصر المكتشفات الأثرية الحديثة وقراءة النصوص القديمة .

- **الإنصاف التاريخي** :أثبت علم المصريات (**Egyptology**) أن ما ذكره أفلاطون وأرسطو عن وجود "حكمة" مصرية قديمة لم يكن مجرد أساطير، بل كان حقيقة تاريخية موثقة.

- **مصر مهد التأمل** :يرى العديد من العلماء اليوم أن مصر كانت المهد الأول للتأمل الفلسفي كما نعرفه في العصر الراهن.

ومن جهة أخرى، يقدم الفيلسوف هوبز أو غيره حسب السياق النظرة أنثروبولوجيا لتطور الفكر الإنساني، حيث يقسم تاريخ الحضارات إلى مراحل متتابعة: تبدأ بمرحلة المجتمعات ما قبل الكتابة، ثم مرحلة نشأة العلم في الشرق القديم (كما في بابل ومصر والصين)، تليها مرحلة

التأمل الفلسفي في الشرق (خاصة في الهند والصين)، وأخيراً مرحلة التفكير النقدي المنهجي في اليونان.

وبحسب هذا التصور، فإن الفكر الشرقي واليوناني ليسا منفصلين بشكل تام، بل يشتركان في العديد من الخصائص، أهمها الانتقال التدريجي من التفسير الأسطوري إلى التفسير العقلي. فقد بدأ الإنسان القديم بالتساؤل عن أصل الكون ووحدته، ولم يعد يكتفي بالأساطير، بل سعى إلى بناء تصورات عقلية تقوم على التحليل وإعادة تركيب الأفكار السابقة في صورة أكثر تجريداً وتنظيماً.

وعليه، فإن أنصار هذا الاتجاه يرون أن الفلسفة اليونانية لم تنشأ في فراغ، بل كانت نتيجة تطور تاريخي طويل، أسهمت فيه الحضارات الشرقية بشكل أساسي، سواء من خلال المعارف العلمية أو الرؤى التأملية التي مهدت لظهور التفكير الفلسفي بمعناه الدقيق.

إن الفلسفة اليونانية لم تكن اختراعاً منفرداً لليونان، بل كانت عملية "نقد وتحليل" للمادة الخام التي قدمها الشرق .إن إبداع اليونانيين لا يمكن فهمه إلا برده إلى أصوله الشرقية العريقة؛ فبينما قدم الشرق "الحكمة والمعرفة"، قام اليونان بصياغتها في قوالب نظرية وعلمية.

النتائج المستخلصة والملاحظات الختامية

إن هذا التضاد الفكري بين منكري الفلسفة الشرقية ومؤيديها يفضي بنا إلى رصد مجموعة من الملاحظات الجوهرية التي تلخص مشهد الصراع التأريخي للفكر الإنساني:

1. الإيديولوجيا والمركزية الغربية:

إن الباحثين المنحازين لفرضية "أصالة الفلسفة والعلم اليوناني" بشكل مطلق، غالباً ما يسقطون في فخ **التطرف الفكري**. فتفسيرهم للتاريخ لا يستند إلى سرد واقعي للحظات الحضارية

الكبرى، بل يقوم على إيديولوجيا "**المركزية الغربية**" التي تسعى لإثبات تفوق العرق الأوروبي وجعله المنبع الوحيد للعقلانية، متجاهلين بذلك مبدأ التراكم المعرفي للبشرية.

2. صدمة الاكتشافات الأثرية:

أثبتت الكشوفات والبحوث التي قام بها علماء الآثار في العصر الحديث أن سمات التفلسف وبوادر التفكير العلمي كانت **بارزة وجلية** في الحضارات الشرقية القديمة. فالمخطوطات والآثار التي عُثر عليها في وادي الرافدين والنيل قدمت إثباتات قاطعة على وجود تأملات في أصل الكون والقيم الأخلاقية والقوانين الرياضية قبل بزوغ فجر اليونان بقرون.

3. وحدة التاريخ الإنساني (الامتداد الحضاري):

لا يمكن، من الناحية المنهجية، فصل تاريخ الأفكار عن بعضه البعض؛ فالفكر البشري ليس جزراً معزولة، بل هو **امتداد حضاري وثقافي متصل**. ما وصل إليه اليونانيون لم يكن طفرة من العدم، بل كان ثمرة تلاقح وتفاعل وتراكم تاريخي بين مختلف الأقاليم والحضارات التي تبادلت المعارف عبر التجارة والرحلات والحروب.

4. النزاهة المنهجية للمدافعين عن الشرق:

يتميز المدافعون عن فرضية "الأصل الشرقي" للعلم والفلسفة بتبني رؤية **منهجية وعلمية موضوعية**. فهم لا ينطلقون من تعصب عرقي أو انتماء جغرافي، بل يستندون إلى نصوص تاريخية وقرائن مادية تثبت أن الشرق وضع اللبنات الأولى للعلوم (كالطب والفلك) والفلسفة (كالتصوف والأخلاق)، وهو موقف يتجاوز الانحياز الإيديولوجي الضيق.

5. الظلال الشرقية على الفكر اليوناني المبكر:

إن تأثير الفكر الشرقي القديم ألقى بظلاله الواضحة على نشأة الفكر اليوناني، لا سيما في مراحله التأسيسية. فحكماء ملطية وأيونيا الأوائل، مثل **طاليس وفيثاغورس**، لم يطوروا نظرياتهم إلا بعد اتصالهم المباشر بالمعارف المصرية والبابلية، مما يجعل الحكمة الشرقية هي "المادة الخام" التي صاغ منها اليونان قوالبهم النظرية اللاحقة.

بناءً على هذه الملاحظات، سننتقل في المحاضرات القادمة إلى دراسة تفصيلية لإسهامات **الحضارات الشرقية القديمة** (المصرية، البابلية، الهندية، والصينية) في مختلف الموضوعات العلمية والفلسفية، لنرى كيف مهدت هذه الحضارات الطريق للعقل البشري ليبلغ ذروة نضجه.

أسئلة للمناقشة مع إجابات نموذجية مختصرة تساعد في التحضير للامتحانات

السؤال الأول

لماذا ثار الجدل حول أصل الفلسفة بين الشرق واليونان؟

الجواب:

لأن بعض المؤرخين اعتبروا أن الفلسفة نشأت حصراً في اليونان، بينما يرى آخرون أن الحضارات الشرقية القديمة كالمصرية والبابلية والهندية والصينية عالجت قضايا الوجود والإنسان والألوهية قبل اليونان بقرون، مما يجعلها مهدت لظهور الفلسفة اليونانية .

السؤال الثاني

ما أهم خصائص الفكر الشرقي القديم؟

الجواب:

يتميز بارتباطه بالدين والأسطورة، واهتمامه بالقضايا العملية والأخلاقية، وسعيه إلى تفسير الكون والإنسان والمصير، مع التركيز على الحكمة العملية أكثر من التنظير المجرد .

السؤال الثالث

كيف أثّر الفكر الشرقي في الفلسفة اليونانية؟

الجواب:

انتقلت إلى اليونان معارف شرقية في الرياضيات والفلك والدين والأخلاق، وقد استفاد منها فلاسفة مثل طاليس وفيثاغورس وأفلاطون في بناء تصوراتهم الفلسفية.